تفسير إبن كثير

لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

نهى الله ، تبارك وتعالى ، عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين ، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ، ثم توعد على ذلك فقال : (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي : من يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله كما قال : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا) [النساء : 144] وقال [تعالى] (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم [إن الله لا يهدي القوم الظالمين]) [المائدة : 51] .[وقال تعالى] (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) إلى أن قال : (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) [الممتحنة : 1] وقال تعالى - بعد ذكر موالاة المؤمنين للمؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب - : (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن

فتنة في الأرض وفساد كبير) [الأنفال : 73] .وقوله : (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أي : إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم ، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته ، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال : " إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم " .وقال الثوري : قال ابن عباس ، رضي االله عنهما : ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس : إنما التقية باللسان ، وكذا قال أبو العالية ، وأبو الشعثاء والضحاك ، والربيع بن أنس . ويؤيد ما قالوه قول االله تعالى : (من كفر باالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان [ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من االله ولهم عذاب عظيم]) [النحل : 106] .وقال البخاري : قال الحسن : التقية إلى يوم القيامة .ثم قال تعالى : (ويحذركم االله نفسه) أي : يحذركم نقمته ، أي مخالفته وسطوته في عذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه .ثم قال تعالى : (وإلى االله المصير) أي : إليه المرجع والمنقلب ، فيجازي كل عامل بعمله .قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا مسلم بن خالد ، عن ابن أبي حسين ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عمرو بن ميمون [بن مهران] قال : قام فينا معاذ بن جبل

فقال : يا بني أود ، إني رسول رسول االله إليكم ، تعلمون أن المعاد [إلى االله] إلى الجنة أو إلى النار .